عبد اللطيف الفؤادي

بياض لنوبة العشاق

إلى الرفيق.. توفيق...

الأحمر الأزرق الأخضر الأبيض
تتشابك الألوان في نصف العين

إنه على بياض يلتمس طعم الماء الأحمر. جامح على المتسع الأبيض يزدهي بالشتاء النافر زمنا كالمقابض. دائماً كان يرسم الخطوة الأولى. ويتساءل كيف يعبر إلى اللون الآخر.....؟؟؟

كنا نراه كما نريد أو كما يشتهي السَّمْت النازف
مَرْتعاً للشارع الخامس
جسداً يتوزع عبر الشجيرات
كنا نراه على غير عادته، في المنتهى عيناه
يرسم على رايات الصخب فقر أبيـــه
ويغسل بالجدال نعاس المفترة الذهبيـــة
كنا نراه فوق ما يتدافع من شفتيـــه
يذرع الليل مختفيا وينام في قصائد الأمطار
هذا المهر المنفرد في الخرائط الناشزة
يكنز الآن في غطائه الشتوي رجع رياح
وغيما مثقلا بالطباعة.. معطفا للأسفار.

دائما كان يرسمُ الخطوة الأولى، ويتساءل كيف تعبر غصينات إلى الخطوات الأخرى إنه ما يزال على بياض يفضي إلى منتصف الألوان. الألوان التي ترتعش في الثلج الأبدي

لم يبع هذا الفتى الوردي.. حرفه الوردي.. لم تعلمه الجامعة الصراع الطبقي ــ وباختصار شديد ــ هرطقة التجمع.. نبحة المقهى.. تميمة الكتاب.. دسائس الأحزاب..حرفة الوصولي..

لم يتعلم هذا القوس المتشدد إلا جنون الفل المحتشد بين ثقوب تُسمَّى في ديوان السياحة أصالة المسكن. لكنه ــ انطلاقاً من قرائن الأحوال ــ صامدٌ.. صامدٌ.. ما بين الخزن والأحجار.

في برج الجلسة المتواضعة، أو في بهو العينين الناعستين كنا نغرس صحبا في الكف.. وكنا في العنف نراه كان يرانا كما يريد، أو كما تشتهي الطرقات هذا الرجل البدوي.. المتشرد.. المقاتل.. هذا المنكر للذات.. هذا المصارع.. المتناثر في سبع أراض.. المُوزَّع في المنتأى الواسع المرفوع بين كفين.. المختوم بسيف مملكتين هذا الشاهد يشعل الآن حرائقه يزهر في بيان للوز.. أو في البيان الطبقي يحمل صراط حدائقه.. الخلايا المزهرة اللون المستقيم.. المتاريس والأحجار أتذكر الآن ومضة عينيه. الشاي والجرائد والأقلام. وكنا نشتهي. نبيذاً في المساء أو بضعاً من الفتيات. نذوب في السهر. كان يشتهي بنادق الريح.. وقع القصائد والشيخ إمام

بدلا من أن يرسم جناحيه بالأزرق
رسمته المباحث لونا أصفر.
عشرون
عشرون
عشرون عاما

إنه ما يزال يرسم الخطوة الأولى
ويتساءل كيف نعبر إلى خيط الألوان
التي بدأت تتشابك في العين الكاملة.

مجنون هذا الخيط النابت في عشق بياض
يتوارى خلف غابات سامقة
ويواري ــ تطوان ــ خلف شباكها الرسمي
خواتم الجمرك.. الوشايات المساقطة

لكن لا بأس أن يتطاول بقلبه
هذا الفتى.. أن يعشق بائعة الحلوى
قهوة ــ الفدّان ــ نشوة المراكب
ثرثرة النسوة الجبليات وهن يحملن رجولة
من حجر الريف.
ولا بأس أيضا أن يكره بهتان المخزن
ــ النصب الأوسط = negro
ــ نافورة الدمع = negro
ــ مدرسة التحنيط = negro
ــ رياض العشاق = negro
ــ مارتيل الرمل = negro
ــ الرأس الأسود = negro
ــ مؤسسة الحمق = negro
ــ مخازن التهريب = negro
ــ ..... = negro
كم كان يعشق هذا الوردي تشابك الورد
وشم حمام على رق غزال.. أبواب تازة
عيناً ريفية في الوطن المهتاج.

في سبتة الليل والأقداح.. فيها ضيعنا رواتبنا وزناد في منتصف الليل يشد على الأعناق والفجر المتناثر في الخطو الجوّال.. وابن آدم شارد في مخازنها.. ساجد للجمرك.. ضائع في مشاربها. أوراق صعبة للبنك الدولي تندلق.. شهوة المشطور بين جغرافيتين. هذا وطن للعسكر.. هذا وطن للسلالات.. هذا وطن للعلماء.. والزهرة ضائعة بين الأنظمة. فأي الأوطان اختار يا «زهرة المدائن» وأي الأحجار تنضح باسمك المختار

إنه ما يزال يرسم الخطوة الأولى
ويتساءل كيف نعبر إلى مدن منّا سرقت
إنه ما يزال على بياض يفضي إلى تشابك الألوان.
الألوان التي ترتعش في الثلج الأبدي.

الأبيض الأخضر الأزرق الأحمر

أيهذا الفتى ماذا تحب من مائدة الألوان
أم ماذا تعشق من كتب السهـــر
غطاءاً في مترين أم وردة خلف الأسوار
أم كيف تتسع الزنزانة للهمس، للكتاب اليساري.
لك أن تقصف كل هاجس.. أن تفتح في الســـر
باباً لصنعة العشـــاق

«...شُق جيب الليل عن نحر الصبـاح
أيها الساقــون
وبدا لي الطل في جيـد اللقـــــاح
لؤلؤا مكنـــون
ودعانـا للـذيـذ الأصـطـبـــــاح
طائـر ميمـــون